المتنوعة، بمعزل عن درجة الإقناع التي يمتلكها كل منها في هذا السياق الثقافي المعيّن أو ذاك.

وعلى أكثر المستويات محوريةً يستحضر ادوارد سعيد تلك الأعراض الناتجة عن التفكير المفتون بالأحكام المسبقة ـ تضليلات واضحة، دوافع هيستيرية، بلاغة ابتزازية، تأكيدات عمياء غير موثّقة، الخ ـ والتي تسجّل حضور رغبة عارمة باختلاق صورة عن "الشرق" تتماشى مع مصالح الغرب السياسية و معتقداته. علاوةً على ذلك، إنه يضع اصبعه على مخزون من النعوت المنمّطة، وعلى نظام من التعارضات الثنائية المحدّدة يبرز "الغرب" من خلالها رمزاً لقيم العقل، التنوير، التقدّم، السلوك الحضاري، الخ، في حين يظهر "الشرق" مرتبطاً ارتباطاً عكسياً أو سلبياً بنفس هذه القيم، أي، كتجسيدٍ لكلّ ماخلّفته العقلانية الغربية خلفها عبر صعودها المستمرّ. نعود ونؤكّد أنّ حرب الخليج تقدّم نموذجاً جاهزاً للطريقة التي تمّ من خلالها استغلال هذه الفبركات الثقافية الجاهزة ـ الراسبة في العمق ـ ووضعها في خدمة الحملة الأخلاقية ذات اللّكنة العنصرية الثابتة. ولكن، من أجل تفكيك مصادر هذه الميثولوجيا الغنية فإنه لامهرب من استحضار معايير الخطاب التنويري الباحث عن الحقيقة، حتى وإن بدت هذه المعايير ملوثة بتورّطها في تاريخ العلاقات الجيوبوليتيكية الثقافية القامعة التي لايمكن تجاهلها من قبل أيّ معلّق يمتلك درجةً معقولة من الحساسية. وعند نقطة معينة لابدّ للتحليل أن يتطرّق دائماً لتصوّرات الأخطاء، التناقضات أو البؤر العمياء التي تسم الأيديولوجيا السائدة، وهذا ممكن فقط إذا قَبِلَ المرءُ بمبادئ الفكر العقلاني، أي بمعايير الأرضيات الملائمة للمشروعية البرهانية، واحترام قواعد المنطق، والرّصانة، والحقيقة. وفي غياب طرح من هذا النوع فإنّ القضية لن تكون أكثر من لعبة بلاغية مهذارة، خطاب لايمتلك أية سيادة على ضمائرنا الأخلاقية أو الثقافية أكثر مما تفعل تلك السرديات التي يسعى نفسه لقلبها أو ستبدالها.